ورثة فلسطين :

حجج تاريخية

للأستاذ نقولا الحداد

استأذن حضرة الدكتور جواد على أن أعلق شيئاً على مقاله القيم فى عدد ١٥ سبتمبر من الرسالة تعليقاً يضيف حججاً إلى الحجج التاريخية ضد ميراث اليهود من فلسطين .

ذكر حضرة الدكتور « أن أسفار التوراة الخمسة الأولى المنسوبة لموسى نزلت على موسى إذ لم يكن موسى قد دخل فلسطين أى أنها نزلت خارج الأرض المقدسة » . طبعاً لأن موسى لم يدخل الأرض المقدسة أرض الميعاد مع شعبه الإسرائيليين الخارجين من أرض مصر . بل مات وهو يشرف على تلك الأرض التى تدر لبناً وعسلا ولم يدخلها مع شعبه لأن الله أبى عليه دخولها لذنب أتاه .

والحقيقة أن موسى لم يكتب حرفاً واحداً من هذه الأسفار الخمسة وإن كانت تنسب إليه . بل كتبت بعد رجوع بنى إسرائيل من سبى السبعين سنة فى بابل . فقد سباهم نبوخذ ناصر سبياً جارفاً سنة ٥٨٦ قبل المسيح . فبقوا فى بابل سبعين سنة واطلع حكماؤهم الأسلاف والخلفاء منهم على أساطير أشور وبابل وشرائع البابليين والأشوريين ولا سيما شريعة حمورابى العربى الذى فتح ما بين النهرين وحكمه هو وخلفاؤه نحو قرن من الزمن .

ولما فتح كورش الفارسى ما بين النهرين أطلق سراح اليهود فعادوا إلى البلاد التى سُبوا منها وشرع حكماؤهم (حاخاماتهم) يكتبون تاريخ قومهم وأساطيرهم وشرائعهم ممتزجة بأساطير بابل وأشور بل ممسوخة منها . وإذا قارنت الشريعتين الحمورابية والإسرائيلية كما هى فى سفر ثنية الاشتراع لا تجد إلا فرقاً قليلا بينهما .

وكان موسى قد خرج بشعبه من أرض مصر سنة ١٢٥٠ قبل المسيح فبين الخروج من مصر والعودة من سبى بابل نحو ٧٣٤ سنة . وفى هذه الأثناء لم يكتب حرف واحد من التوراة لأن الكتابة الهجائية لم يكن الفينيقيون قد استنبطوها بعد أو أنها لم تكن قد شاعت فى اللغات السامية أو الآرامية بل كانت الكتابة السامية مقصورة على رسوم الأشياء المراد التعبير عنها كرسم رجل للرجل والعين للعين . وهذه الكتابة مقتصرة على النقش فى الألواح الحجرية أو الآجر المشوى . وهذه لا تحتمل كتابات التواريخ والشرائع المطولة .

وإذا طالعنا أساطير البابليين وتاريخهم القديم وجدنا تشابهاً كلياً بين تلك الأساطير وقصة التكوين فى التوراة وقصة الطوفان وغيرهما ، الأمر الذى يؤكد لنا أن حكماء اليهود اقتبسوا كثيراً من البابليين وزجوه فيما كان أسلافهم يتناقلونه من تاريخهم وأساطيرهم . حتى أن قصة الخليقة فى سفر التكوين واردة

وأمجادنا ، وبما تركنا فى الدنيا من أثر خير جميل ، وأقوياء بعددنا وبعزائمنا ، وبأن الحق معنا ، وأن البلاد بلادنا ، وأن فلسطين لنا ، لن يغلبنا عليها ، (شحاد) صهيونى ، ولا محتال انكليزى ، ولا لص أميركى ، لا والله ولا الجن ولا العفاريت ، إننا والله سنمضى إليها على كل سيارة وكل قطار وكل دابة ، ونمشى على أقدامنا إن عز الظهر ، ونملأ إليها كل طريق ، ونسلك إليها كل سبيل ، حتى نترعها رجالا ، إن أعوزهم السلاح ، فما يعوزهم النبل ولا الإقدام ، رجالا لا يحبون الحياة الذليلة ، ولا يهابون الموت الشريف ، ولا يتزحزحون ولا يريمون ، ما دام فى صدورهم قلوب تخفق ، وفى صدورهم نَفَس يطلع وينزل .

***

فيا أيها الحاكمون ، يا من صرخوا من قمم لبنان هذه الصرخة الدوية ، اثبتوا واعلنوا الحرب ، إذا لم تعطوا الحق إلا بالحرب : حرب الكلام وحرب المال وحرب الدم والسنان ، وسيروا جيوشكم ، فنحن وراءكم ، ونحن أمامكم ، ونحن معكم ، ما نحن للجزيرة ، ولا نحن لهذا الماضى ، ولا نحن لمحمد ، إن وقفنا أو ارتددنا ، حتى نطهر فلسطين من كل رجس صهيونى ونطهر من أنجاس الاستعمار كل بلاد العرب ، ونعيد الحضارة والعزة إلى الشرق ، على رغم أنف الظالمين !

(القاهرة) على الطنطاوى

مرتين متواليتين في الأصحاحين الأولين بأسلوبين مختلفين الأمر الذي يدل على أنهما أخذا من مصدرين مختلفين .

هذا من حيث نزول الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى . وما نسبت إليه إلا لأنه كان زعيم القوم الأكبر الذي قادهم من أرض مصر في برية سينا نحو ٤٠ سنة إلى أرض كنعان حيث كان يعنيهم بأسلاب الكنعانيين وبطردهم من بلادهم وامتلاك أرضهم وماشيتهم وأثاثهم كما علّم الاسرائيليات قبل الخروج من مصر أن يستلفوا حليّ المصريات قبل الهرب . كذا كانت تعاليم موسى لشعبه — أنه يحل لهم مال كل أجنبي عنهم لأنهم شعب الله الخاص حسب تعليمه .

أما أن اليهود ورثة فلسطين فمسألة لا تحتاج إلى كثير تحقيق فإن مجموع ما أقامه اليهود في المنطقة التي كانت قديماً تسمى فلسطين (وهي القسم الغربي من جنوبي فلسطين الحديثة) لم يزد عن ثلاثة قرون . وفيما سوى ذلك كانوا مشردين في الشرق والغرب بسبب فتوحات الدول المحيطة بهم من كل ناحية . وقد هاجر بعضهم عن طريق آسيا الصغرى إلى أوروبا وبعضهم هاجروا عن طريق البحر الأبيض المتوسط إلى نواح مختلفة . وتغلغلوا في أوروبا التي كانت في تلك الأزمان وثنية تعبد الأصنام المنحوتة . فلما اختلطوا بأولئك الأقوام وعرّفوهم بديانتهم رأى عقلاء الوثنيين وحكماؤهم أن ديانة اليهود معقولة أكثر جداً من ديانتهم لأنهم فهموا أن إله اليهود شخصية حية غير منظورة وليس صنماً منحوتاً من جماد ينحتونه . فتهوّد كثير منهم في جميع أنحاء أوروبا وغربي آسيا . ولما جاءت النصرانية اكتسحت الوثنية ولم تكتسح اليهودية اكتساحاً مطلقاً لأنها مستندة إلى نبوآتها .

فجميع اليهود الذين في أوروبا وغربي آسيا هم من السلالات الآرية وليس فيهم فطرة من السلالات السامية . هم آريون أكثر من هتلر وكان بولس الرسول مؤسس النصرانية يهودياً إغريقياً من أثينا . يدل على آريتهم بياض بشرتهم الناصع وصفرة شعورهم وزرقة عيونهم خلافاً للساميين الممتازين بسمرتهم وسواد أحداقهم وسواد شعورهم . فما يهود أوروبا من ورثة فلسطين بتاتاً .

أما ورثة فلسطين القديمة والحديثة الحقيقيون فهم سكانها الحاليون الذين كان بعضهم يهوداً والكنعانيون والحيثيون والجرزيون والفلسطينيون القدماء والصيدونيون وغيرهم من عبدة البعل ، فلما جاءت النصرانية تنصر معظمهم من يهود ووثنيين . ثم جاء الاسلام فأسلم معظمهم واستعربوا كلهم . هؤلاء القيمون الآن في فلسطين الحديثة هم أهلها وورثتها . وأما اليهود المهاجرون من أوربا وغيرها إلى فلسطين الكبرى التي نشأت من بعد الحرب الكبرى الماضية فليس لهم قلامة ظفر فيها . هم غرباء عنها ودخلاء فيها .

وقد استدل علماء اليهود من التوراة والتلمود أنهم لا يمكن أن يرجعوا إلى أرض آبائهم ما لم يجدوا تابوت العهد المفقود . ذلك أنه لما غزا نبوخذ ناصر أورشليم أسرع أشميا وأخذ جميع محتويات الهيكل وخبأها في بعض مغاور جبل نبو جنوبي أورشليم وكان تابوت العهد أهم تلك الكنوز لأنه يحتوي على اللوحين الحجريين اللذين كتب الله أو بالأحرى يهوه رب الجنود (كما تسميه التوراة) وصاياه العشر بأصبعه .

ولذلك جاءت بعثة أثرية يهودية من أميركا بعد الحرب السابقة إلى فلسطين وجعلت تنقب في مغاور جبال بني عمون أن تعثر على تابوت العهد الذي لو وجدوه لكان أعظم أثر تاريخي . ولكنهم بعد تنقيب طويل شاق لم يجدوه فيئسوا وعادوا بخفي حنين . لذلك لا يحق لهم أن يعودوا إلى أورشليم لأنهم لم يحققوا وعد التلمود أو التوراة . ولن يعودوا .

ليتهم وجدوا ذلك التابوت لكنا نتمتع برؤية خط الله على اللوحين الحجريين وآثار أصبعه الكريمة... وكنا نعرف بأي حرف كان الله يكتب .. وأية لغة كان يهوه رب الجنود يكلم موسى أبالعبرية كما يدعي اليهود أم بالسريانية كما يدعي بعض النصارى — حقاً إنه لأثر تاريخي عظيم . لو وجد !

نقولا الحداد

ظهر حديثاً كتاب

أحمد عرابي